Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

Interpretation on Meaning in Gender Argue Al-Mutanabbi's poetry as a Model

Abdulwahed Mohammed Saed

Dept. of Arabic Language / College of Art and Human Science /University of Adlib

Ahmed Mohammed Alomer

Asst. Prof. / Dept. of Arabic Language / College of Art and Human Science /University of Adlib

Article information

Article history:
Received December 25, 2022
Reviewer January 15,2023
Accepted January 21,2023
Available online September1 , 2023

Keywords:
interpretation on the meaning
feminine
masculine

Correspondence:
Abdulwahed Mohammed Saed
reema.hala2016@gmail.com

Abstract

This research aims to study a phenomenon that is hidden from many, and only the scholar of the language, the one who is guided to its methods and the revealer of its secrets and facts, is aware of its use in the Arabic language, which is Interpretation on Meaning **.**

As the veil is revealed about a unique mentality whose impact cannot be erased from the history of Arabia, so Abu Al-Tayyib Ahmed bin Al-Hussein Al-Mutanabi (d. 354 AH) who fills the world and preoccupies the people, the disposer of his poetry all the way, and the masterful in his methods and expressions**.**

The commentators followed him, headed by Abu al-Fath Uthman ibn Jinni (d. 392 AH), that scholar of linguistic and morphological genius, in analyzing and clarifying the subtleties of his speech, verifying the secrets of his phrases and clarifying them, with reference to the aims of his poetry, and clarifying what disappeared from his thoughts**.**

Interpretation on meaning was one of the most important phenomena that Al-Mutanabbi relied on in his poems, and one of the most important reasons that his followers armed themselves with to reveal what he wanted, and the reason for its contradiction with the form that he did not intend. And one of the most prominent forms of interpretation on the meaning he has is different in the gender of the nouns, interpreting them on the meanings of others that contradict them in gender, so he came with the masculine feminine and the feminine masculine**.**

And every change and departure from the original has a meaning that was the reason for the change, just as a group of nouns came confused in their gender, sometimes they come with masculinity and others with femininity because of the permissibility of the two dialects in them, not on the interpretation of the meaning of others**.**

DOI: 10.33899/radab.2023.180048, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Adab Al-Rafidain, Vol. 52, No. 94, 2023 (09-01)

الْحَمْلُ عَلَى الْمَعْنَى فِي مَقُولَةِ الْجِنْسِ – شِعْرُ الْمُتَنَبِّي أُنْمُوذَجًا

عبدالواحد محمد سعيد* **أَحمد محمد العمر****

المستخلص :

يرمي هٰذا البحثُ إلى دراسةِ ظاهرةٍ تَخفَى على الكثير، ولا يُبصِرُ باستعمالِها في لغة العربِ إلّا العالِمُ باللغة، المُهتدي إلى طُرُقِها والكاشِفُ عن أسرارِها وحقائِقها، هي الحَمْلُ على المعنى؛ إذْ يُميطُ اللِّثامَ عن عقليّة فَذَّةٍ لا يُمحى أثرُها من تاريخ العربيّة، فأبو الطيّب أحمدُ بنُ الحُسين المُتنبّي (ت 354ه) مالئُ الدُّنيا وشاغِلُ النّاس، المُتصرّفُ في شِعره كُلَّ التّصرُّف، والمُتفنّنُ في أساليبِه وعباراته أيَّ تفنُّنٍ، تتبَّعَه الشُّرّاح وعلى رأسهم أبو الفتح عثمانُ بْنُ جِنّي (ت 392ه)، ذلك العالِم اللُّغويّ، والصَّرفيّ العبقريّ، في الوُقوف على دقائق كلامِه وتبييِنها، والتّحقُّقِ من خَبايا عِباراته وتوضيحِها، مع الإشارة إلى مَراميه من شعرِه، والوقوفِ على ما نَدَّ من فِكَره، وكان الحمْلُ على المعنى مِن أبرز الظّواهر الّتي اعتَمَدها المُتنبّي في قصائدِه، وواحدةً مِن العِلل الّتي تَسلّح بها مُتتبّعوه لِلكَشْف عن مُراده، وسببِ مخالَفتِه للظّاهر الّذي لم يقصِدْه. ومن صُور الحمل على المعنى لديه المُغايَرَةُ في جِنس الأسماء حمْلًا لها على معانٍ غيرِها مِمّا خالَفَها في الجِنس، فجاء بالمذكّر مؤنّثًا وجاء بالمؤنّث مذكَّرًا، ولِكُلّ تغييرٍ وابتعادٍ عن الأصل معنًى كان هو المسوّغَ للمخالَفة، كما جاءت مجموعةٌ من الأسماءِ مضطرِبَةً في جنسها فتارةً تأتي بالتذكير وأُخرى بالتأنيث نزولًا عند جَواز اللُّغتين فيها لا على الحمْلِ على معنًى غيْرِها.

الكَلِمَاتُ المِفْتاحِيّةُ: الحمْلُ على المَعنى، المُؤَنَّثُ، المُذَكَّرُ.

مُشْكِلةُ البحْثِ: يُحاولُ البحثُ طرْحَ مجموعةٍ مِن الأسئلة والإجابةَ عنها، ومِنْ ذلك:

1. هل يُعبَّر عن المؤنَّث بالتّذكير وعن المذكَّر بالتّأنيث؟
2. هل اعتمد المتنبّي أُسلوبَ العربيّ في حمْل الأسماءِ بعْضِها على معنًى بعْضٍ؟
3. ما الأثرُ اللفظيّ لِحَمْلِ الاِسم على معنًى اسمٍ آخَرَ مُخالِفٍ له في جِنْسِه؟
4. ما صُورُ الحَمْلِ على المَعنى بين المُذكّر والمُؤنّث؟

أهمّيّة البحث: تكمن أهمّيّة هذا البحث بدراسته ظاهرةً عربيّةً عَرَفَها المُتكلِّم العربيّ قَبْلَ العالِم النَّحْويّ، وهي الحمْل على المعنى، فهو في كلام العرب ظاهرة، وعند النُّحاة عِلّة، ولمّا سُلِّطت المعاني على الألفاظ جاءت في اللغة أساليبُ تحتاج تأمُّلًا، فظهرت محاولاتُ البحث عن المعنى، التي سعت إلى تقريب المَقُوْلِ من العُقول، وكانت مفتاحًا لانغلاق النصّ، وسبيلًا للتوفيق بين السمْت الّذي سار عليه كلامهم، والتعبير الّذي أشكل عليهم. فإنْ كان شكْل الكلام ومظهره يُخرجانه من سِياج القواعد، فإنّ الوُلوج إلى المعنى يحمله لِيعودَ به إلى حُدود المسموح به والمنطوق، بل يرفعُه فيضعُه في عِداد الكلام البلاغيّ. والمُتتبِّع لِعِلَلِ علماء اللغة في تحليلهم النصوصَ يجِدُ نَبْعًا ثَرًّا تفيض به ظاهرة الحمل على المعنى؛ فلا يكاد يجد مخالَفةً لِلمُطَّرِد من القواعد إلّا كان الحمْل أداتَهم في تفسير الغُموض، وتشريعِ المُخالَفة؛ لأنّها لا تعدو أنْ تكونَ مخالِفةً في اللفظ موافِقةً في المعنى، وكأنّ لسان حالِهم يقول: يجوز للمعنى ما لا يجوز لغيره.

كما يهدف البحث إلى الوُقُوفِ عَلَى ظاهرةٍ كان لها صدًى واسِعٌ في كتب العلماء، وأدّتْ مهمّةً عظيمة في كشْف المُشْكِل من الكلام، ولا سيّما في آيات القرآن العظيم، وأحاديث النبيّ الكريم. وإلى الإلمام بجميع صور هذه الظاهرة في مقولة الجنس، مع بيان حدودها وتوضيح أثرها في شعر أبي الطيّب المُتنبّي.

حدودُ البحْثِ ومُجْتمَعُه: يدور البحث في فلك الحمل على المعنى، ويدرس صورةً واحدة منه وهي الحمل على المعنى في الجنس تذكيرًا وتأنيثًا، مطبِّقًا ذلك على شعر المتنبّي، ومستنِدًا على ما قيل في شِعره من شروح وآراء.

مَنْهَجُ الْبَحْثِ: اعتمد البَحْثُ المَنْهَجَ الاستقرائيَّ في الوُقوفِ على المَواضِع الّتي حُمِل فيها الكلامُ على المعنى ووَصْفِها، ثُمّ لَجأ إلى تحليلها وَفْقَ المنظور اللغويّ، مع بيان آراء الشُّرّاح وعلماء اللغة فيها.

المقدّمة:

كان أبو الطيّب المُتنبّي -كما صرّح ابن جني في أكثرَ مِن موضِعٍ من كتابِه الْفَسْرِ- كثيرَ الحمْلِ على المعنى؛ لِمَا كان في ذلك مِن زيادةِ مبالغةٍ وفَضْلِ بَيَانٍ[1].

* قسم اللغة العربية / كلية الآداب والعلوم الإنسانية /جامعة إدلب

** استاذ مساعد / قسم اللغة العربية / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة إدلب

والحمْلُ على المعنى بابٌ واسعٌ، كالحمْل على المعنى في الجِنْسِ، والعَدَدِ، والحمْلِ على معنَى اسمٍ محذوفٍ أو فعلٍ أو أداةٍ، وكذلك الحمْلُ بيْنَ الأدواتِ والأفعالِ والأساليبِ والمُشتقّاتِ[2]، ويُسلّط البحْثُ الضّوءَ على مَظْهَرٍ واحدٍ من هٰذِهِ المظاهرِ، هو الحمْلُ على المعنى في الجِنْسِ بيْنَ الأسماءِ تذكيرًا وتأنيثًا، فتذكيرُ المُؤنّث كثيرٌ شائعٌ في كلامِهم؛ لأنّ المُذكّر أصْلٌ، والمُؤنّثَ فَرْعٌ، وَرَدُّ الفرْعِ على الأصْلِ حَسَنٌ فاشٍ في اللُّغة، وأمّا حمْلُ المُذكّر على المُؤنّث فهو أقلُّ مِن صاحبِه؛ لأنّه يُذهَبُ به مِن أصْلٍ إلى فَرْعٍ.

والحَمْلُ على المعنى بيْنَ المُذكّر والمُؤنّث له صورٌ، كتذكيرِ الاسمِ، أو فِعْلِ الفاعلِ، أو الخبرِ، أو الضَّميرِ، أو الصِّفةِ، أو الحالِ، أو الإشارة، أو الموصولِ، وكلُّها كان حقُّها التّأنيثَ، وكذلك تأنيثُها في مواضِعَ يكونُ حقُّها فيها التّذكيرَ.

وكان لا بُدّ قبل الوُلوجِ إلى هٰذِهِ الصُّورِ من التّنبيهِ على مجموعةٍ من الأسماءِ الّتي يستوي فيها المُذكّرُ والمُؤنّثُ وتُطلقُ عليهما، مِن دونِ أَنْ تُحمَلَ على جِنْسِ غيرها؛ لأنّها مُحتمِلَةٌ لِلجِنسينِ في آنٍ مَعًا.

1. **مَا دَلَّ على المُذَكَّرِ وَالمُؤَنَّثِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ:**

فكُلُّ لفظٍ من هٰذِهِ المجموعةِ يقعُ على الجِنسين، وسِياقُ الكلامِ يكشِفُ المُرادَ منه، ومن ذلك:

- **[برأ] الْبَرَأْءُ:** كما في قولِه: [من الكامل]

فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيْرِهِ بِكَ نَاكِبٌ وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءُ[3]

(البراءُ) مَصدَرٌ يُوصَف به، يُطلَق على المُفرد والمُثنّى والجَمعِ والمُذكّر والمؤنّث، ومِثلها (الصِّرْف)[4]، فهي مَصْدَرٌ يَقَعُ على الجميع، كما في قوله: [من الطويل]

بَلَلْتُ بِها رُدْنَيَّ وَالغَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِيْ دَمُ[5]

- **[بزل] الْبَازِلُ:** كما في قولِه: [من المتقارب]

وَإِنِّيْ لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالًا بِكُمٍّ عَلَى بَازِلِ[6]

يقُولون: جَمَلٌ بازلٌ ونَاقةٌ بازِلٌ، لِلمُذكّر والمُؤنّثِ[7].

- **[بطن] الْبَطْنُ:** كما في قولِه: [من المنسرح]

يُبْقَرُ عنهُنَّ بَطْنُهَا أَبَدًا وَلَا تَشَكَّى وَلَا يَسِيْلُ دَمُ[8]

فالبطْنُ مُذكّرٌ وقد يُؤنّث[9].

([1]) يُنظر: الْفَسْر، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2004م. 252/2.

([2]) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404ه-1984م.382/2. والحمل على المعنى في العربية، علي عبد الله حسين العنبكي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، العراق، بغداد، ط1، 1433ه/2012م. ص60-61، 85-88، 135-136، 347-358.

([3]) ديوان المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، تح: د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ط، 1435ه/2014م. 21/1. والناكب: المائِل.

([4]) يُنظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.تا. 289/8. ومعاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، د.تح، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403ه/1983م. 30/3. والْفَسْر 116/1-117. والعَرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب، ناصيف اليازجي دار صادر، بيروت، ط2، 2005م. 251/1.

([5]) ديوان المتنبي 300/2. والرُّدن: الكُمّ، ومسعدي: معيننني، والعَبرة: الدمعة، والصِّرف: الخالص من أيّ شائبة.

([6]) ديوان المتنبي 122/2. والبازل من الإبل: الذي نبت نابه في السنة التاسعة.

([7]) يُنظر: العين 370/7. والْفَسْر 707/2.

([8]) أثبته ابن جنّي في الْفَسْر 497/3. ومحقق الديوان لم يثبته في المتن وأشار إليه في الحاشية، يُنظر: ديوان المتنبي 288/2 الحاشية 3. ويُبقر: يُشقّ.

([9]) يُنظر: المذكر والمؤنث، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تح: د. رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، ط2، 1989م. ص69-70. والْفَسْر 497/3.

- **[بعر] الْبَعِيرُ:** كما في قولِه: [من الوافر]

أَوَانًا فِي بُيُوْتِ الْبَدْوِ رَحْلِي وَآوِنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيْرِ[10]

البعيرُ يقعُ على الصّغيرِ من الإبل والكبيرِ، المُذكّرِ والمؤنّثِ[11]. وكذلك الطّليحُ وهو المُعْيي منها يقع على الجنسين[12]، كما في قوله: [من الكامل]

وَأَمَقَّ لوْ خَدَتِ الشَّمالُ بِراكِبٍ في عَرْضِهِ لأناخَ وهْيَ طَليحُ[13]

- **[ترب] التِّرْبُ:** كما في قولِه: [من البسيط]

وَهَمُّهَا فِي الْعُلَاْ والْمَجْدِ نَاشِئَةً وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللّهْوِ وَاللّعِبِ[14]

(الأَتْرابُ) الأمْثالُ، واحدُها (تِرْبٌ)، وأكثرُ استعمالِه في المُؤنّث[15]. ومن التذكير قوله: [من الخفيف]

أَنَا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ القَوَافِيْ وَسِمامُ العِدا وَغَيْظُ الحَسُودِ[16]

- **[جود] الْجَوَادُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

مَرَرْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمْحَمَتْ جَوَادِيْ وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَعَاهِدُ؟[17]

فالفرسُ الجَوادُ يُطلقُ على الذَّكر والأُنثى[18].

- **[حبب] الْحِبُّ:** كما في قولِه: [من الطويل]

وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلَا عَفَافِيْ وَيُرْضِي الْحِبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِيْ[19]

الحِبّ هو الحبيبُ، يقعُ على الذّكر والأُنثى[20].

- **[حمم] الْحَمَامَةُ:** كما في قولِه: [من الوافر]

أَقَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِيَ الأَطْوَاقُ وَالنّاسُ الْحَمَامُ[21]

فالحَمَامُ جمْعُ حَمَامَةٍ، والحَمامَةُ تُطلَقُ على الذَّكر والأُنثى[22] .

([10]) ديوان المتنبي 346/1. والقتد: خشب الرحل.

([11]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة، د.ط،1401ه/1981م. 1/63-64. والْفَسْر 142/2.

([12]) يُنظر: العَرف الطيّب 182/1.

([13]) ديوان المتنبي 174/1. والأمقّ: الطويل، يُريد: وبلدٍ أمقّ، وخدت: أسرعت.

([14]) المصدر نفسه 111/1.

([15]) يُنظر: الْفَسْر 304/1.

([16]) ديوان المتنبي 197/1.

([17]) المصدر نفسه 254/1.

([18]) يُنظر: الْفَسْر 790/1.

([19]) ديوان المتنبي 518/1.

([20]) يُنظر: الْفَسْر 483/2.

([21]) ديوان المتنبي 295/2.

([22]) يُنظر: المذكر والمؤنث، ابن الأنباري 600/1. والْفَسْر 508/3.

- **[حول] الْحَالُ:** كما في قولِه: [من الوافر]
وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاْحِدٌ فِيْ كُلِّ حَالِ[23]

فالحالُ تُذكّر وتُؤنّث، وقد تَلحقُها التّاءُ (حَالَةٌ)[24].

- **[خصم] الْخَصْمُ:** كما في قولِه: [من الطويل]
فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّيْ لِقَاءَكُمْ وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمُ خَصْمِيْ[25]

فالخَصْمُ يُطلَقُ على المُفردِ والمُثنّى والجَمْعِ، والمُذكّر والمُؤنّث معًا[26].

- **[خمر] الْخَمْرُ:** كما في قولِه: [من المتقارب]
وَإِنَّ مَنِيَّتَهُ عِنْدَهُ لَكَالْخَمْرِ سُقِّيَهُ كَرْمُهُ[27]

فذَكَّر الخَمْرَ، وهٰذِهِ لغةٌ فيها، ومَن ذَكَّر إنّما ذَهب بها إلى النّبيذ، فَالخَمر أُنثى ورُبّما ذكّروها[28]، وعلى لغة التأنيث قولُه: [من البسيط]
مِن كُلِّ أحورَ في أنيابِهِ شَنَبٌ خَمْرٌ يُخامِرُها مِسْكٌ تُخامِرُهُ[29]

- **[درع] الدِّرْعُ:** كما في قولِه: [من الوافر]
لَوِ اسْتَبْدَلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ قَدَدْتَ بِهِ الْمَغَافِرَ وَالدُّرُوْعَا[30]

فَالدِّرْع تُذكّر وتُؤنّث[31].

- **[دنف] الدَّنَفُ:** كما في قولِه: [من الكامل]
لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ الْحَزِينِ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ لَأَعَرْتَهُ بِفِدَائِهِ[32]

فَالدَّنِفُ الشّديدُ المرضِ، صفةٌ تؤنّث وتُثنّى وتُجمع، وأمّا مَن قالَه بفتح النون (الدَّنَف)، فهو على الوصف بالمصدر، يُطلق على المفرد والمثنّى والجمع والمذكّر والمؤنّث[33].

- **[رضو] الرِّضَا:** كما في قولِه: [من البسيط]
نَدٍ أَبِيٍّ غَرٍ وَافٍ أَخٍ ثِقَةٍ جَعْدٍ سَرِيٍّ نَهٍ نَدْبٍ رِضًا نَدُسِ[34]

(رِضًا) مصدرٌ يُوصَف به، يُطلَق على المفرد والمثنّى والجمع والمذكّر والمؤنّث، كقول زهير:[من الطويل]

([23]) ديوان المتنبي 114/2.

([24]) يُنظر: العين 299/3. والْفَسْر 687/2.

([25]) ديوان المتنبي 272/2.

([26]) يُنظر: العين، الخليل 191/4. والْفَسْر 467/3.

([27]) ديوان المتنبي 437/2.

([28]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص73-74، والْفَسْر 604/3.

([29]) ديوان المتنبي 325/1. والحور: شدّة سواد العينين وبياضهما مع اتساع، والشنب: الحِدَّة في الأسنان، وقيل بردها وعذوبتها، ويُخامر: يُخالط،

([30]) المصدر نفسه 439/1. والمِغفَر: زرد يُنسج من الدرع يوضع على رأس المحارب.

([31]) يُنظر: العين 34/2. والْفَسْر 825/1، 386/2.

([32]) ديوان المتنبي 26/1. والدّنِف: المريض مرضًا دائمًا مُزمِنًا، ويأتي ليدل على من تلف من شدة العشق، ولأغرته: جعلته يغار.

([33]) يُنظر: العين 48/8. والْفَسْر 53/1.

([34]) ديوان المتنبي 403/1. ورواية الديوان: أخي ثقة، و(رَضٍ) بدل (رضًا). ند: كريم، غر: محب للمكرمات، جعد: كريم عربي الأصل، سريّ: شريف، نه: عاقل، ندب: يقوم بما يُنتدب إليه، ندس: فطِن.

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ تَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ هُمُ بَيْنَنَا، فَهُمُ رِضًا، وَهُمُ عَدْلُ[35]

وهٰذِهِ حالُ المصادرِ التي يُوصَف بها[36].

- **[روح] الرُّوْحُ:** كما في قولِه: [من البسيط]

رُوْحٌ تَرَدَّدُ فِيْ مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتِ الرِّيْحُ عَنْهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ[37]

فالرُّوحُ فيه لغتان، فهو مذكّرٌ إذا قُصِد رُوحُ الحيّ، وأنّثه البعض على مذهب النفس[38]. وقد يكون العَكْسُ، فتأتي النفْس بالتذكير على معنًى مُرادِفٍ لِلرُّوح[39]، كما في قوله: [من الطويل]

وما العشقُ إلا غِرَّةٌ وطماعةَ يعرّضُ قلبٌ نَفْسَهُ فيُصابُ[40]

- **[سحب] السَّحَابُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ[41]

فَأَنَّث الأُولى وذَكَّر الأُخرى؛ لأنّ السّحاب يُذكّر ويُؤنّث[42]. ولعلّ ورودَها بالتّذكير والتّأنيث معًا هاهنا يعود إلى المعنى الذي يختلف بين السّحابين، فالأوّل جاء مؤنّثًا لأنّه على معنى الجماعات من العِقبان، والثّاني مذكّرًا لأنّه على معنى الجيش الّذي يزحف.

- **[سلح] السِّلاحُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

كَأَجْنَاْسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا وَمَا لَبِسَتْهُ والسِّلاحُ المُسمَّمُ[43]

والسّلاحُ مُذكّرٌ ويجوز تأنيثُه، كما حُكِيَ عن بَعْضِ بَني دُبَيْرٍ: (إنّمَا سُمِّيَ جَدُّنا دُبَيْرًا؛ لِأَنّ السِّلاحَ أَدْبَرَتْهُ)[44].

- **[شجر] الشَّجَرُ:** كما في قولِه: [من الكامل]

قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ فَكَأَنَّ فِيْهِ مُسِفَّةَ الغِربانِ[45]

الشّجرُ يُذكّرُ ويؤنّث، وكذلِك النَّخْلُ، والضّمير في (فيه) يعود على الشّجر، وكلُّ جمْعٍ بيْنَه وبيْنَ مُفرَدِه التَّاءُ يجوزُ فيه الوجهانِ؛ كالنَّخْلِ والشَّجَرِ والْقَنَا والحصى والتَّمْرِ والشَّعْرِ والهامِ[46].

([35]) شعر زهير بن أبي سلمى، الأعلم الشنتمري، تح: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط. 1390ه/1970م. ص38. واشتجر: تخالف، والسروات: السادة الشُّرفاء.

([36]) يُنظر: الْفَسْر 241/2.

([37]) ديوان المتنبي 450/2. الخلال: عود صغير دقيق تُخلّل به الأسنان.

([38]) يُنظر: **المذكر والمؤنث**، أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، تح: د. حاتم صالح الضامن، دار الفكر، دمشق، ط1، 1418ه/1997م. ص107-108. **والمُذَكَّر والمُؤَنَّث**، ابن التستري الكاتب، تح: د. أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1403ه/1983م. ص79. والْفَسْر 549/3، 649. والعَرف الطيّب 95/1.

([39]) يُنظر: العَرف الطيّب 354/2.

([40]) ديوان المتنبي 142/1.

([41]) ديوان المتنبي 342/2.

([42]) يُنظر: الْفَسْر 339/3. وشرح مشكل شعر المتنبي، أبو الحسن علي بن سيده الأندلسي، تح: د. محمد رضوان الداية، دار المأمون للتراث، مطبعة محمد هاشم الكتبي، د.ط، 1395ه/1975م. ص40-41، 172، 317.

([43]) ديوان المتنبي 357/2. الشّعار: العلامة في الحرب، والمسمّم: ما سُقي سُمًّا.

([44]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص89. الْفَسْر 364/3.

([45]) ديوان المتنبي 496/2. المسفّة: ما كادت تلامس الأرض في طيرانها.

([46]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص91. والْفَسْر 225/3، 646. وشرح مشكل شعر المتنبي ص187، 338. والعَرف الطيّب 281/1.

- **[طرق] الطّريق:** كما في قولِه: [من الكامل]
أَنْسَأعُهَا مَمْغُوْطَةٌ وَخِفَافُهَا مَنْكُوْحَةٌ وَطَرِيْقُهَا عَذْرَاءُ[47]

الطّريق تُذكّر وتؤنّث، ومثلُها السّبيل[48].

- **[عجز] الْعَجُزُ:** كما في قولِه: [من المنسرح]
يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجُزٌ كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ[49]

والعجُزُ تُذكّر وتؤنّث[50].

- **[عمر] عَامِرُ:** وهٰذِهِ من أسماء القبائل، تدلّ على القبيلة فتؤنّث وتُمنَع من الصَّرْف، ويُقصَد بها الحَيّ فتُذكّر وتُصرَف[51]، ومن ذلك قولُه: [من الوافر]
وَأَطْمَعَ عامِرَ البُقْيَا عَلَيْها وَنَزَّقَها احتِمَالُكَ وَالْوَقَارُ[52]

فَمَنَع (عَامِرَ) من الصَّرْف لِأنّه قَصَدَ بِها القَبِيلةَ، وَعاد الضّميرُ عليها بالتّأنيث، وهٰذا كقول الشّاعر: [من الهزج]
وَمِمَّنْ وَلَدُوْا عَامِـــــــرُ ذُو الطَّوْلِ وَذُو الْعَرْضِ[53]

فَمَنَعَهَا مِن الصَّرف على قَصْد القبيلة، ثمّ جاء الوصْفُ (ذو) بالتّذكير على إرادة الحَيّ. وهٰذا شأنُ أسماءِ القبائِل، ومِنْها (تَغْلِبُ)، كما في قولِ الشّاعر: [من الطويل]
كَسَا اللهُ حَيَّيْ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ مِنَ اللُّؤْمِ أَظْفَارًا بَطِيْئًا نُصُولُها[54]

فقدْ أَنّث (ابنة) بعْد قولِه (حيّي) لأنّه قصَد القبيلة[55].
وكذلك (وَائِلُ) كما في قولِه: [من الرجز]
مَنْ أَنْتَ مِنْهُ يَا هُمَامَ وَائِلَا الطّاعِنِيْنَ فِي الْوَغَى أَوَائِلَا[56]

فَمَنَع (وائلَ) من الصَّرف على إرادةِ القبيلة[57]. ومثْلُ هٰذا (تَمِيْمُ) كما في قولِه: [من البسيط]
هُوَ الأَمِيْرُ الَّذِيْ بَادَتْ تَمِيْمُ بِهِ قِدْمًا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنُهَا الْأَجَلَا[58]

([47]) أثبته ابن جنّي في الْفَسْر 87/1. ومحقق الديوان لم يثبته في المتن وأشار إليه في الحاشية، يُنظر: ديوان المتنبي 15/1 الحاشية رقم (2). الأنساع: جمع (نسع): سير يُشد به الرحل، الممغوطة: الخفيفة المد، المنكوحة: المثقوبة بالحصى. العذراء: الضيّقة التي لم تُسلك من قبل.

([48]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص77-78. والْفَسْر 90/1، 173، 621/2.

([49]) أثبته ابن جنّي في الْفَسْر 135/3. ومحقق الديوان لم يثبته في المتن ولا أشار إليه في الحاشية، يُنظر: ديوان المتنبي 53/2.

([50]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص89. والْفَسْر 135/3.

([51]) يُنظر: المذكر والمؤنث، ابن الأنباري 112/2-120.

([52]) ديوان المتنبي 372/1. والنَّزق: الطيش والخِفّة.

([53]) البيت لذي الإصبع العدواني، وهو في ديوانه، يُنظر: ديوان ذي الإصبع العدواني، ذو الإصبع حرثان بن محرث العدواني، تح: عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي، مطبعة الجمهور، الموصل، 1393ه/1973م. ص48.

([54]) البيت لعَمِيرَةَ بن جُعَلَ، يُنظر: المفضّليّات، المفضّل محمد بن يعلى بن سالم الضّبيّ، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6، د.تا. ص257.

([55]) يُنظر: الْفَسْر 60/2.

([56]) ديوان المتنبي 168/2. ورواية الديوان: من كنت منهم.

([57]) يُنظر: الْفَسْر 834/2.

([58]) ديوان المتنبي 27/2. والحَين: الهلاك.

فَمنَع (تَمِيمُ) من الصَّرف لأنّه قصَد القبيلة[59]. وأيضًا (قَيْسُ) كما في قولِه: [من الخفيف]

كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ (بِسْمٌ) ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسَ السَّلَامُ[60]

فَمنَع (قَيْسَ) الثَّانيةَ من الصَّرف لأنّه قصَد القبيلة[61].

- **[عنق] العُنُقُ:** كما في قولِه: [من الوافر]

يَمِيْنًا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاءٍ عَلَى قَتْلِيْ بِهَا لَضَرَبْتُ عُنْقِي[62]

العُنُقُ والعُنْقُ تُذكّر وتؤنّث[63].

- **[غرر] الغِرُّ:** كما في قولِه: [من الكامل]

غِرٌّ طَلَعْتَ عَلَيْهِ طَلْعَةَ عَارِضٍ مَطَرَ الْمَنَايَا وَابِلًا وَرَذَاذَا[64]

تقول: رَجُلٌ غِرٌّ وَامرأةٌ غِرٌّ، وقد يُقال: امرأةٌ غِرّةٌ[65].

- **[فلق] الْفَيْلَقُ:** كما في قولِه: [من البسيط]

فِيْ فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيْدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ صَرْفَ الزَّمَانِ لَمَاْ دَارَتْ دَوَائِرُهُ[66]

الْفَيْلَقُ: إذا قُصِد به العَسْكرُ ذُكِّر، وإذا قُصِدتْ به الكتيبةُ أُنِّث، والتّذكيرُ به أَشبَهُ[67]. ومن التأنيث قوله: [من الكامل]

وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّما فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ[68]

فالتذكير على معنى الجيش العظيم، والتأنيث على نيّة الجماعات من الجنود والكتائب.

- **[قفو] القَفَا:** كما في قولِه: [من الكامل]

أَيْدٍ مُقَطِّعَةٌ حَوَالَيْ رَأسِهِ وَقَفًا يَصِيحُ بِهِ: أَلَا مَنْ يَصْفَعُ؟[69]

الضمير في (به) يعود على الْقَفَا، ورُوي البيت (بها)، وكلاهما جائز لأنّ الْقَفَا تُذكّر وتُؤنّث[70]. وبتذكيره القفا شمَلَ صاحبَه بالصّفع.

- **[قمن] الْقَمَنُ:** كما في قولِه: [من البسيط]

وَإِنْ بُلِيْتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ فَإِنَّنِيْ بِفِرَاْقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ[71]

([59]) يُنظر: الْفَسْر 64/3.

([60]) ديوان المتنبي 311/2. بِسمٌ: قصد بها (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وعاملها معاملة الجزء الواحد فنوّنها بالضم، وهذا قبيح جدًّا كما قال ابن جنّي، لا بل هو غير جائز.

([61]) يُنظر: الْفَسْر 536/3.

([62]) ديوان المتنبي 493/1. ورواية الديوان: وأنت تأتي.

([63]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص64. والْفَسْر 556/2.

([64]) ديوان المتنبي 322/1.

([65]) يُنظر: العين 346/4. والْفَسْر 14/2.

([66]) ديوان المتنبي 327/1.

([67]) يُنظر: الْفَسْر 106/2. وشرح مشكل شعر المتنبي ص334.

([68]) ديوان المتنبي 17/1.

([69]) ديوان المتنبي 465/1. ورواية الديوان: يصيح بها.

([70]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص92. والْفَسْر 420/2، 508.

([71]) ديوان المتنبي 502/2. القمن: الجدير الحقيق الحريّ.

القمِن بكسر الميم يُثنّى ويُجمع، ويؤنّث بدخول التاء، وأمّا (القمَن) بفتحها فيكون للجميع بلفظٍ واحدٍ[72]. والتعبير بالمصادر يفيد مبالغةً في الوصف، إذ يَكسو المُفردَ عباءةَ الجَمعِ والتعظيمِ.

- **[كمت] الْكُمَيْتُ:** كما في قولِه: [من الوافر]

وَأَسْرِجَتِ الْكُمَيْتُ فَنَأْقَلَتْ بِي عَلَى إِعْفَاقِهَا وَعَلَى غِشَاشِي[73]

فَالْفرسُ الكُميتُ: يُستعملُ لِلذَّكر والأنثى بلفظٍ واحدٍ، قال فِي المُذَكَّر: [من الطويل]

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَاْ زَلّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ[74]

وقال آخَرُ في المؤنّثِ: [من الوافر]

كُمَيْتٌ غَيْرُ مُحْلِفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنِ الصِّرْفِ عُلَّ بِهِ الأَدِيْمُ[75]

فَالكُميتُ لِلذَّكرِ والأُنثى[76]. ولعلّ مَن جاء بالتأنيث قصد إلى صفة المطاوعة فيها والانسياب، وأمّا من ذهب إلى التذكير فقصد إلى القوّة والبأس، فإن كان مرماه إظهار مهارته في الفروسية وقيادة الخيل أنّثَ، وإن تطلّب السياقُ قوّةً وبأسًا وقِتالًا ذَكّر.

- **[مجنق] الْمَنْجَنِيْقُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

وَلَوْ ضَرَبَتْكُمْ مَنْجَنِيْقِيْ وَأَصْلُكُمْ قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ؟[77]

والمنجنيقُ تُذكّر وتؤنّث[78]. والتأنيث يومئ بأنّها آلة الرّمي، والتذكير على أنّها سلاحٌ.

- **[ملل] الْمَلُوْلَةُ:** كما في قولِه: [من المنسرح]

مَلُوْلَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلُ[79]

يقولون: رَجُلٌ مَلُوْلَةٌ وامْرَأَةٌ مَلُوْلَةٌ، والتّاءُ أفادتِ المُبالغة[80]. فإن كان الموصوف مذكَّرًا وقعت المبالغة بالتاء، وإن كان مؤنّثا أفادت التأنيث والمبالغة معًا، والبيت يؤكّد شدّة تململ الموصوفة من كلّ شيء، إلّا أنّها لا تملّ من مللِها؛ فهو دائمٌ مستمِرٌّ في ازديادٍ.

- **[منن] الْمَنُوْنُ:** كما في قولِه: [من الوافر]

نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِيْ وَتَقْتُلُنَا الْمَنُوْنُ بِلَا قِتَالِ[81]

والمَنُونُ تُذكّر وتؤنّث، وفي تأنيثه إيحاء بكثرتها فهي كالجماعات؛ ومن ذلك قولُ الشّاعر: [من الكامل]

([72]) يُنظر: العين 181/5. والمذكر والمؤنث، ابن الأنباري 326/1. والْفَسْر 711/3.

([73]) ديوان المتنبي 421/1. الكميت: ما لونه بين الأسود والأحمر ليس بأشقر ولا أدهم، الإعفاق: انفتاق بطن الفرس لثقل تحمله، الغِشاش: العَجلة.

([74]) القائل امرُؤُ القَيْسِ والبيت من معلّقته. يُنظر: ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر الكندي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1984م. ص20.

([75]) ورد البيت بنسبتين في المفضّليات، الأولى للكلحبة اليربوعي، والأخرى لسلمة بن الخرشب الأنماري. يُنظر: المفضليات ص33، 40. غير محلفة: خالصة اللون لا يُحلف عليها أنّها ليست كذلك، أي: لا يتشابه لونها على الناظر، والصرف: صبغ أحمر، عُلّ: سُقي مرّة بعد مرّة، وقصد به الصبغ، الأديم: الجلد.

([76]) يُنظر: الْفَسْر 302/2.

([77]) ديوان المتنبي 92/2.

([78]) يُنظر: العين 243/5. والْفَسْر 209/3.

([79]) ديوان المتنبي 53/2. معنى البيت: تملّ من كلّ شيء، ولا تملّ من مللها، فهو دائم لا ينقطع.

([80]) يُنظر: العين 324/8. والْفَسْر 135/3.

([81]) ديوان المتنبي 105/2.

أَمِنَ الْمَنُوْنِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ[82]

ويُنشَد هٰذا البيت (وريبِه) بالتّذكير، وكلاهما صحيحٌ[83]. والتأنيث يفيد تتابعها والتذكير يعود بها إلى أنّها حِدثانٌ للدّهر وريبها رَيبُه.

- **[نعم] النَّعَامَةُ:** كما في قولِه: [من المنسرح]

تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةً شَارِدْ[84]

وَالنَّعَامةُ تُطلق على الذَّكر والأنثى[85]. وبمجيئه بها من دون علامة تأنيث إشارة إلى تغليب صفة الشرود على الإناث منها دون الذكور، واختياره لأنثى النعامة أَلَمُ في الذمّ وأقسى؛ إذ اجتمعت بذلك صفات الحُمق والجُبن والخوَر.

- **[نعم] النَّعَمُ:** كما في قولِه: [من السريع]

تَسِيْرُ سَيْرَ النَّعَمِ الْأَرْسَالِ مُعتَمَّةً بِيُبَّسِ الْأَجْذَالِ[86]

وَالنَّعَمُ تُذكّر وتُؤنّث، وبتأنيثها دلّ على سيرها جماعات؛ زيادةً في ترويض تلك الأُيّل وانقيادها للصائدين. ومثلُ النَّعمِ الشَّاءُ[87] ، كما في قوله: [من المتقارب]

فَوَلّى بأشياعِه الخَرْشَنِيُّ كَشاءٍ أحسَّ بِزَأْرِ الأسودِ[88]

ولا يَخفى ما قَصَدَه أبو الطيّب من تذكير الشّاء جاعلًا إيّاه أقرب إلى الإفراد؛ إذ إنّ المقام مقام خوفٍ، وذُعْرُ الوَحدة في مثله أشدّ وَطْأةً على منخوب الفؤاد.

وبعدُ، فهٰذِهِ مجموعةٌ من الأسْماءِ الّتِي استوى فيها التّذكيرُ والتّأنيثُ، وقد أشارُوا إلى وُرودها في كلام العرب على اللُّغتين، والأجْدرُ في هٰذا الباب عدمُ حَمْل الاسم على معنًى غيرِه؛ لأنّ في الجواز سَعَةً، ولا داعيَ لتضييقها بالتّقدير، فَعَدمُ التّقدير أَوْلى.

2. **مَا حُمِلَ مِن المُؤنَّثِ على المُذكَّرِ:**

في هٰذا القسم مجموعةٌ من الأسماء المؤنّثة، عُبّر عنها بالتّذكير؛ لأنّها حُمِلتْ على معنًى مُذكَّرٍ، وهٰذا فاشٍ في اللُّغة، وَصُورُه كثيرةٌ، ومن ذلك في شِعْر المُتنبّي:

1.2 تذكيرُ الاسْمِ:

فقدْ يُعامَل جمْعُ المؤنّث معامَلةَ المُذكَّر فيُؤتى بمفردِه مُذكَّرًا، كما في قولِه: [من الكامل]

عَذْلُ العَوَاذِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الأَحِبَّةِ مِنْهُ فِيْ سَوْدَائِهِ
وَبِمُهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكُ الَّذِيْ أَسْخَطْتُ أَعْذَلَ مِنْكَ فِيْ إِرْضَائِهِ[89]

فالعَواذِلُ جمْعُ (عاذِلَةٍ)، ولكنّه خاطَبَ المُفردَ منها عَلى (عَاذِلٍ)، والتَّذكيرُ على مَعنى: يا مَنْ يعذِلُني، أو يا إنسانًا عاذِلي، وقد جاء بالجمع للإناث على الأشهر؛ إذ إنّ الأقربَ إلى مواضيع الهوى والعذل والعتاب الإناثُ، ثمّ جاء بالمذكّر (عاذل) لأنّه لم يُرد هوى النساء وإنّما هو هوى الملك. وعكسُ هٰذا قولُ الشّاعر: [من السريع]

([82]) البيت لأبي ذؤيب الهذليّ. يُنظر: ديوان أبي ذؤيب، أبو ذؤيب الهذليّ، تح: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بور سعيد، ط1، 1435ه/2014م. ص47.

([83]) يُنظر: المذكر والمؤنث، السجستاني ص177. والْفَسْر 667/2-668، 602/3-603.

([84]) ديوان المتنبي 317/1. النعامة الشارد: النافرة، وسكّن الدال في (شارد) ضرورة.

([85]) يُنظر: المذكر والمؤنث، السجستاني ص84. والْفَسْر 1187/1.

([86]) ديوان المتنبي 252/2. ورواية الديوان: بيَبِسِ. النعم: المواشي، الأرسال: جمع (رسل): القطيع من الإبل، معتمّة: تضع العمامة، الأجذال: جمع (جذل): جذع الشجرة.

([87]) يُنظر: المذكر والمؤنث، ابن الأنباري 464/1-465. والْفَسْر 296/3، 460. والعَرف الطيّب 162/1.

([88]) ديوان المتنبي 208/1. والخرشني نسبة إلى خرشنة من بلاد الروم.

([89]) ديوان المتنبي 28/1.

قَامَتْ تُبَكِّيْهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
تَرَكْتَنِيْ فِي الدَّارِ ذَاْ غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ[90]

أَيْ: إنسانًا ذَا غُربةٍ[91]. والغُربة تقع على كلّ إنسان، ولكنّ تذكير الخطاب أومأ إلى تحوّل الباكية ممّا تُعرف به النساء من حَنانٍ ومشاعرَ مُرهَفَةٍ، إلى جفافٍ ونُضوبٍ وقسوةٍ، وهذه كلُّها بالرِّجال ألصق.

2.2 تذكير الفعل:

الفاعلُ المُؤَنَّثُ يُؤنّث فعلُه جوازًا ووجوبًا، فأمّا الجوازُ فعندما يكون تأنيثُ الفاعل مجازيًّا غيرَ حقيقيٍّ، وحينَ يفصِل بيْنَ الفعلِ والفاعل المُؤَنَّثِ تأنيثًا حقيقيًّا فاصِلٌ، ومعَ أفعالِ المدْحِ والذَّمِّ (نِعْمَ وَبِئْسَ)، ومعَ جُموع التَّكسير، وأمّا الوجوبُ فمعَ الفاعلِ المُؤَنَّث تأنيثًا حقيقيًّا دونَ فاصلٍ، ومعَ الضّمير المُستتِر[92]. وقد ذُكّر الفعل مع فاعلٍ مؤنّثٍ حملًا على المعنى عند المتنبّي وفق الآتي:

- **[سمو] السَّمَاءُ:** كما في قولِه: [من البسيط]

أَكَارِمٌ حَسَدَ الأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ[93]

فَذَهَبَ بالسّماءِ إلى السَّقْف[94]. ولا يَخفى هُنا أنّ هٰذا من مواطن جواز تذكير الفِعل لِلفاعل المؤنّث؛ إذ اجتمع لذلك سببان، أحدُهما: التّأنيثُ المجازيُّ، والآخَرُ: الفاصِلُ. كما أنّ في تذكيرِه لِلسّماء الحاسِدِ إيحاءً إلى عِظَمِ المحسودِ عليه، ففي السّماء العُلُوُّ والشّرَفُ ولم تَسلمْ معَ ذلك مِن الحَسد؛ لِعِظَم ما تنالُه تلك الأرضُ مِن كرمِه وعطائه. ومِن تذكيرِ السَّماءِ أيضًا عند المتنبّي قولُه: [من الكامل]

فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ خِلَعُ الأمير، وَحَقُّهُ لم نَقْضِهِ[95]

فتذكيرُ الضّمير في (بأرضِه) وهو عائدٌ على السّماءِ، على إرادة السّقْف أو الجِنس أو المَطَر[96]. ولعلّها في الموطِنَين لا تحتاجُ حَمْلًا على معنًى غيرِها؛ إذْ إنّ السَّماء يجوزُ فيها الوجْهانِ التّأنيثُ والتذكيرُ ولو كانَ تذكيرُها قليلًا[97].

- **[نفس] النُّفُوْسُ:** كما في قولِه: [من الوافر]

فَقُلْتُ: لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ سَوْءٍ وَإِنْ حَرَصَ النُّفُوْسُ عَلَى الْفَلَاحِ[98]

وهنا حَكَمَ ابن جنّيّ على حذْف التّاء بأنّه ضرورةٌ، ولم يُشِرْ إلى الحَمْل على المعْنى[99]. ولعلّ المعْنى هُنا: وإنْ حَرَصَ الرِّجال، فَذَكَّر الفِعلَ على هٰذا القصْدِ؛ لأنّ طَلَبَ الفلاحِ ممّا يشتهرُ به الرِّجالُ على النّساءِ.

([90]) يُنسب البيتان للأعشى في المحكم لابن سيده وليسا في ديوانه، وفي العقد الفريد لابن عبد ربه نسبهما لأعرابية فقدت ابنًا لها وروايته (تركتني في الدار وحشيّة). يُنظر: **ديوان الأعشى الكبير**، الأعشى ميمون بن قيس، تح: د. محمود إبراهيم الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، مطابع قطر الوطنية، ط1، 2010م. و**العقد الفريد**، ابن عبد ربه أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1404ه/1983م. 236/6. **والمحكم والمحيط الأعظم**، ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421ه/2000م. 152/2.

([91]) يُنظر: الْفَسْر 32/1-33.

([92]) يُنظر: شرح قطر الندى وبلّ الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الخير، دمشق-بيروت، ط.1، 1410ه/1990م. ص182-183.

([93]) ديوان المتنبي 403/1.

([94]) يُنظر: الْفَسْر 243/2. واللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري، تح: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1429ه/2008م. ص605.

([95]) ديوان المتنبي 423/1.

([96]) الْفَسْر 309/2-310.

([97]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص91. والمذكر والمؤنث، ابن الأنباري 492/1-494. واللامع العزيزي، ص605.

([98]) ديوان المتنبي 181/1.

([99]) يُنظر: الْفَسْر 760/1.

3.2 تذكير الخبر:

الأصْلُ أنْ يطابِقَ الخبرُ المبتدأ في التّذكير والتّأنيث[100]، ولكنّ هٰذِهِ القاعدةَ وَرَدَ من النُّصوص ما يخالفُها، فجاء الخبرُ مذكَّرًا لمبتدأٍ مؤنَّثٍ، أو لِما أصلُه مبتدأٌ، وكان التّعليلُ بأنْ حُمِل الكَلامُ على معنًى آخَرَ مذكَّرٍ، وكان ذلك عند المتنبي وفْق الآتي:

- **[كني] الكُنْيَةُ:** كما في قولِه: [من الوافر]

فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشٍ كَأَنَّ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشِ[101]

فأبو العشائر كُنيتُه، والأصْل أنْ يقولَ: غيْرُ فاشِيةٍ، ولكنّه ذكّر حَمْلًا على معنَى الاسم؛ لِأنّ الكُنية على الحقيقةِ اسْمٌ[102]. والخبَرُ هنا (غيرُ) وهو مضافٌ إلى (فاشٍ)، والمُضاف يكتسب التّذكير والتّأنيث من المُضاف إليه؛ لِذلك كان التّعليقُ على البيت بأنّ الخبر ذُكّر، وواضحٌ أنّ القصْد: ما أُضيف إليه الخبرُ لا الخبرُ ذاتُه.

- **[عرب] العِرَابُ:** كما في قولِه: [من الرمل]

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَّزْتَ سَبْقًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ العِرَابُ[103]

الأصل: (مدفوعةٍ)، والتّقدير: العِرابُ غيْرُ مدفوعةٍ، ولكنّه حَمَلَها على معنَى: (العرابُ شيْءٌ أو جِنْسٌ غيْرُ مدفوعٍ)، ومِن مِثْلِ هٰذا الحَمْلِ على المعنى قولُ الشّاعر: [من الكامل]

تَدْعُوْ هُوَازِنُ وَالْقَمِيصُ مُفَاضَةٌ فَوْقَ النِّطَاقِ تُشَدُّ بِالْأَزْرَارِ[104]

أيْ: والقميصُ دِرْعٌ مُفاضةٌ، فإنْ جاز حمْلُ المُذكَّر على المُؤنّث وهو حَمْلُ أصْلٍ على فرْعٍ، فجوازُ حمْلِ المُؤنّث على المُذكَّر أَوْلى؛ لِأنّه رَدُّ فرْعٍ على أصْلٍ[105].

- **[مرْء] الْمَرْأَةُ:** كما في قولِه: [من المنسرح]

فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَهُ وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا[106]

فالوجْهُ تأنيثُ الخبَرِ (آويتَه)، ولكنّه ذُكِّرَ حَمْلًا على معنَى الإنْسانِ أوِ الشَّخْصِ أو الشّكْل، وهٰذا مثل قول الشّاعر: [من الطويل]

بَخِلْتِ فَكَأَنَّ الْبُخْلُ مِنْكِ سَجِيَّةً فَلَيْتَكِ ذُوْ لَوْنَيْنِ يُعْطِيْ وَيَمْنَعُ[107]

قَصَدَ: شَخْصًا ذا لونين، فذكّر[108].

4.2 تَذْكِيْرُ الصِّفَةِ:

([100]) يُنظر: الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة, ط3, 1408ه-1988م. 127/12.

([101]) ديوان المتنبي 416/1.

([102]) يُنظر: الْفَسْر 286/2. وشرح ديوان المتنبي، الواحدي ص1017.

([103]) ديوان المتنبي 61/1. والعِراب: الخيل العربية.

([104]) البيت لجرير، وهو في ديوانه: تدعو ربيعةُ، تحت النجاد. يُنظر: ديوان جرير، جرير بن عطية الخطفى، د.تح، دار بيروت، بيروت، د.ط، 1406ه/1986م. ص246.

([105]) يُنظر: الْفَسْر 453/1-454. واللامع العزيزي ص114-115. وشرح ديوان المتنبي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د. تا. 135/1.

([106]) ديوان المتنبي 527/2.

([107]) البيت لكثير عزة وهو في ديوانه. ديوان كثير عزة، كثير عزة، جمعه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، 1391ه/1971م. ص405.

([108]) يُنظر: الْفَسْر 758/3. ومعجز أحمد شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو العلاء المعري، تح: د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1413ه/1992م. 325/4. وشرح مشكل شعر المتنبي ص329.

الصِّفةُ الحقيقيَّةُ تُطابِقُ موصوفَها تذكيرًا وتأنيثًا[109]. وقد وردت مجموعةٌ من الصّفات الّتي خالفَت ذلك الأصْل، فحُمِل الموصوفُ على المعنى المُذَكَّر، وبقيَتِ الصِّفةُ تابعةً للموصوفِ على معناهُ لا على لفظِه، ومن هذا عند المتنبي:

- **[دلص] الدِّلاصُ:** كما في قوله: [من الطويل]

فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ المُسُوحَ مَخَافَةً وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدِّلَاصَ المُسَرَّدَا[110]

فالدِّلاصُ هي الدِّرْعُ البَرّاقةُ، وذَكّر الصِّفة (المُسَرَّدَ) على قصْدِ الجَمْعِ، أي الْجِنس، كما في قول الشاعر: [من الطويل]

إِذَا الْقَنْبُضَاتُ السُّوْدُ طَوَّفْنَ بِالضُّحَى رَقَدْنَ عَلَيْهِنَّ الحِجَالُ الْمُسَجَّفُ[111]

فالحِجَالُ جَمْعُ (حَجَلَةٍ)، فَذَكَّر الصّفة على معنى (الجَمْعُ المُسجّف)، وكلُّ هٰذا مثلُ قولِه تعالى: ﴿ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم ﴾ [يس: 80]، وقولِه سبحانه: ﴿ ثر ثز ثم ثن ثى ﴾ [الشعراء: 119]. ويحتملُ أنْ يكونَ أرادَ الدِّرْعَ الواحدةَ، وهي ممّا يُذكّر ويؤنّث[112]. ولعلّ الأوّل أَوْلى لِأنّ السّياقَ سِياقُ جَمْعٍ لا إفرادٍ.

ومِنْ تذكيرِ الدِّلاصِ أيضًا عند المُتنبّي قولُه: [من المنسرح]

يَحْتَقِرُ الْبِيضَ وَاللِّدَانَ إِذَا شَنَّ عَلَيْهِ الدِّلاصَ أَوْ نَثَلَهْ[113]

فالضّميرُ في (نَثَلَه)، عاد بالتّذكيرِ على الدِّلاصِ حَمْلًا على معنى البَدَنِ، على أنّ الدِّرْع يجوزُ فيها التَّذكيرُ والتَّأنيثُ[114]. ولعلّ الثّانِي هاهنا أَوْلَى؛ لبُعد التّأْويلِ في الأوّل.

- **[غيد] الأَغْيَدُ:** كما في قولِه: [من المنسرح]

أَهْلًا بِدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا[115]

قَصَدَ المرأة المحبوبة وذَكَّر على معنى الشخصِ[116]. وهو في هذا المطلع أراد أن يُنبئ من أوّل شطر عن ممدوحه المُراد، وأنّ ذِكر الخُرّدِ إنَّما هو فتحُ بابٍ على عادة السّابقين، فجاء بالأغيد على قصد التّذكير.

- **[كفف] الكَفُّ:** كما في قولِه: [من الكامل]

وَمُخَبِّبُ الْعُذَّالِ مِمَّا أَمَّلُوْا مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِبَا[117]

فالأصْلُ أنْ يقولَ: (خَائِبَةً)؛ لِأنّ الكَفَّ مُؤنّثةٌ، ولكنّها جاءَتْ بالتّذكيرِ حَمْلًا على معنى (العُضْو)، وقد قوّى التَّذكيرَ هُنا أنّ المعنى: (لا يرُدُّ سائلًا خائبًا)، فالمقصودُ صاحِبُ الكَفِّ. ومِن تذكيرِ الكَفِّ قولُ الشّاعر: [من الطويل]

أَرَى رَجُلًا مِنْكُمْ أَسِيْفًا كَأَنَّمَا

ومثلُ هٰذا في الحَمْلِ على معنى (العُضْوِ) قولُ الآخَر: [من البسيط]

([109]) يُنظر: المفصل في علم العربية، أبو القاسم الزمخشري، تح: د. فخر صالح قدارة، دار عمار، عمان، ط1، 1425ه/2004م. ص119.

([110]) ديوان المتنبي 264/1. يجتاب: يرتدي، المسوح: لباس المتصوفة وكهنة النصارى، الدلاص: الدروع البرّاقة، المسرّد: المحكم النسج.

([111]) البيت للفرزدق وهو في ديوانه. ديوان الفرزدق، الفرزدق همام بن غالب، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407ه/1987م. ص384. والقنبضات: جمع قنبضة وهي المرأة الدميمة أو القصيرة، والحجال: جمع حجلة وهي الستر، والمسجف: الذي أُرخي عليه سجفان، وهما سترا باب الحجلة.

([112]) يُنظر: الْفَسْر 824/1-825.

([113]) ديوان المتنبي 101/2. ورواية الديوان: سَنَّ. والبيض: السيوف، واللدان: الرماح اللينة، شنّ: ارتدى واكتسى، ونثل: خلع وألقى.

([114]) يُنظر: الْفَسْر 228/3.

([115]) ديوان المتنبي 183/1.

([116]) يُنظر: اللامع العزيزي ص398. وشرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1407ه/1986م.17/2.

([117]) ديوان المتنبي 58/1.

فَهِيَ أَحْوَى مِنَ الرِّبْعِيِّ خَاذِلَةٌ وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِدِ الْحَارِيِّ مَكْحُوْلُ[118]

فقال: (مَكْحُوْلُ)، بالتّذكيرِ على معنَى العُضوِ أَوِ البَصَرِ[119].

5.2 تذكير الضمير:

إنّ الضّمائر تُطابِقُ ما تعودُ عليه مِن أسماءَ تذكيرًا وتأنيثًا، فالمُذَكَّر يعود عليه الضميرُ تذكيرًا وكذلك المُؤَنَّث تأنيثًا، وقد وردت مُخالَفةُ هٰذا في النّصوص، فحُمِل الأمرُ على المعنى؛ لِيتوافقَ الضَّمير معَ معنَى ما يعود عليه، ومن هذا عند المتنبي:

- **[رضو] رَضوى:** كما في قولِه: [من الكامل]

مَا كُنْتُ آمَلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلى أَيْدي الرِّجَالِ يَسِيرُ[120]

فـ(رضوى) اسم جبل، وهو اسم مؤنث، فإن ذُكِّر فعلى معنى الجبل، واختيار التذكير هاهنا لأنه مردودٌ إلى الممدوحِ[121].

- **[شمس] الشَّمْسُ:** كما في قولِه: [من الرجز]

بَحْرٌ يَكُوْنُ كُلُّ بَحْرٍ نُوْنَهُ شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمْسُ أَنْ تَكُوْنَهُ[122]

فالأصْل أنْ يعودَ الضَّميرُ على الشَّمسِ بالتَّأنيثِ (تكونُهَا)، ولكنّه حَمَله على المَعنى، فالمقصودُ بالشّمس هو الممدوحُ؛ لِذلك عادَ الضَّميرُ بالتَّذكيرِ[123]. ومِثْلُ هذا قولُه: [من البسيط]

شَمسٌ إذا الشّمسُ لاقتْه على فرَسٍ تَرَدَّدَ النُّورُ فيها مِنْ تَرَدُّدِهِ[124]

- **[صدر وعلو] الصُّدُوْرُ وَالْعَوَالِيْ:** كما في قولِه: [من الخفيف]

حَالَفَتْهُ صُدُورُهَا وَالْعَوَالِيْ لَتَخُوضُنَّ دُوْنَهُ الْأَهْوَالَا[125]

الأصْلُ أنْ يعودَ الضّمير على الصُّدورِ والعواليْ بالتَّأنيثِ لِأنّها مِمّا لا يَعقِل، ولكنّه لَمّا جَعَلَها مُحالِفةً حَمَلها على ما يَعقِلُ فَجاء ضميرُها بالتَّذكير، وهٰذا مِثْلُ قولِه تعالى:ﱡ ﱠ [النمل: 18]، ولمْ يقُل: (ادْخُلي أو ادْخُلْنَ)، فَلَمّا خُوطِبَتْ أُجريَتْ مُجْرى مَن يَعقِل، وكذلك قولُه سبحانه:ﱡ ﱠ [يوسف: 4]،ولمْ يقلْ: (ساجداتٍ)؛ لأنّ أكثرَ ما يَقَعُ هٰذا الفِعلُ مِمّنْ يَعقِلُ[126].

- **[عضد] العضُد:** كما في قولِه: [من المنسرح]

لَوَيْتُهُ دُمْلُجًا عَلَى عَضُدٍ لِدَولَةٍ رُكنُها لَهُ وَالِدْ[127]

الضّمير في (له) يعود على العضد وهي مؤنّثة، ولكنّه عاد بالتذكير لأنّ الشّاعر قصد بالعضُد الممدوحَ[128].

([118]) البيت لطفيل الغنوي، وهو في ديوانه: إذ هي أحوى من الربعي حاجبُه. يُنظر: ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي، عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: حسّان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م. ص75. الأحوى: ما خالط سواده حمرة أو خضرة، والربعي: نتاج الربيع، والحاري: نسبة للحيرة على غير قياس.

([119]) يُنظر: الكتاب، سيبويه 46/2-47. والمذكر والمؤنث، ابن الأنباري 361/1-369. والْفَسْر 435/1-436. ومعجز أحمد 36/2.

([120]) ديوان المتنبي 335/1. والرواية في الديوان: (تسير)، بالتأنيث.

([121]) يُنظر: اللامع العزيزي ص526.

([122]) ديوان المتنبي 487/2. والنون: الحوت.

([123]) يُنظر: الْفَسْر 634/3. والعَرف الطيّب 102/1.

([124]) ديوان المتنبي 190/1.

([125]) المصدر نفسه 203/2.

([126]) يُنظر: الْفَسْر 22/3-23.

([127]) ديوان المتنبي 319/1. الدُّملُج: ضرْب من الأساور.

- **[عين وجرح] الْعَيْنُ وَالْجِرَاحَةُ:** كما في قولِه: [من الكامل]

مَثَّلْتِ عَيْنَكِ فِيْ حَشَايَ جِراحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاءُ[129]

الأصْلُ أنْ يقولَ: (فتشابَهَتَا)، ولكنّه أراد معنى (تشابه الفريقان)، أو حَمَلَ الْعَيْنَ على العُضْوِ، والجِراحةَ على الجُرحِ. وهٰذا كقولِ الشاعر: [من الكامل]

إنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضُمِّنَا قَبْرًا بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيْقِ الْوَاضِحِ[130]

ولمْ يقلْ: (ضُمّنتا)؛ لِأنّه ذَهبَ بالسّماحة إلى السّخاء، وبالمُروءةِ إلى الكرَمِ، وهٰذا كثيرٌ في كلامِ العرب[131].

6.2 تَذْكِيْرُ الْحَالْ:

الْحَالُ تُطَابِقُ مَا تُقيّدُه تذكيرًا وتأنيثًا، وإذا مَا خالفَتْ ذلك الأصْلَ كانَ الحَمْلُ على المعنى سبيلَ التّوفيق بيْنَهما، ومن ذلك عند أبي الطّيّب:

- **[فتي] الْفَتَاةُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

أَتَتْ زَائِرًا مَا خَامَرَ الطِّيْبُ ثَوْبَهَا وَكَالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ[132]

الأصْلُ: (أَتَتْ زَائِرةً)، ولكنّ التّذكيرَ على معنى الطَّيْفِ أو الضّيف أو الشّخص الزائر[133]. وكأنّ تخفّيَها ولِباسَها وكيفيّةَ دخولها كانت مصطَنَعةً مُمَوَّهَةً أشبهت بها صِفة الزائرين من الرِّجالَ؛ كي لا تُثيرَ الشّبُهاتِ في الطّريق، فأتَتْهُ عليها زِيُّ الرِّجالِ فقال عنها (زائرًا).

- **[نبر وجمع] الْمَنَابِرُ وَالْجُمَعُ:** كما في قولِه: [من البسيط]

مُخْلَى لَهُ المَرْجُ مَنْصُوبًا بِصَارِخَةٍ لَهُ المَنَابِرُ مَشْهُودًا بِهَا الْجُمَعُ[134]

الأصْلُ أنْ يقولَ: (منصوبةً المنابرُ، ومشهودةً الجُمَعُ)، ولكنّ التّذكيرَ هاهنا جائزٌ على معنى: نَصَبَ المَنابِرَ وشَهِدَ الجُمَعَ[135]. ويُحسب له الموافقة بين السياق في التذكير (مُخلًى، منصوبًا، مشهودًا)، مع إعطاء المذكّر معنى التعميم للكلام؛ لأن المُذكّر أصلٌ والتأنيثَ فرعٌ عليه فهو أخصّ.

7.2 تَذْكِيرُ الْعَدَدِ:

العَدَدَانِ (واحِدٌ، واثنانِ) يُطابِقانِ معدودَهما تذكيرًا وتأنيثًا، فإذا جاوَزَ العددُ الاثنينِ إلى التِّسعة، فهو يخالِف المعدود، وأمّا العَشَرةُ فإنْ كانت مفرَدةً خالَفَت، وإنْ كانت مركَّبةً طابَقَت، وكُلُّ ذلك على أنْ يكونَ المعدود مذكورًا في الكلام ومتأخِّرًا عن عدده[136]، وقد ورد كثيرٌ من النّصوص على خلافِ القاعدة، فحُمِل فيها المعدود على معنًى آخَرَ لِيستقيمَ الكلامُ، وممّا ذُكّر عددُه -أيْ دخلتْه تاءُ التّأنيث- حَمْلًا لِلمعدود على معنًى آخَرَ عند المتنبي قولُه: [من الكامل]

([128]) يُنظر: الْفَسْر 1197/1.

([129]) ديوان المتنبي 14/1.

([130]) البيت لزياد الأعجم وهو في ديوانه. شعر زياد الأعجم، زياد الأعجم، تح: د. يوسف حسين بكار، دار المسيرة، ط1، 1403ه/1983م. ص54.

([131]) يُنظر: الْفَسْر 76/1. والعَرف الطيّب 268/1.

([132]) ديوان المتنبي 427/1.

([133]) يُنظر: الْفَسْر 355/2. والعَرف الطيّب 128/1.

([134]) ديوان المتنبي 452/1.

([135]) يُنظر: الْفَسْر 330/2.

([136]) يُنظر: الكتاب، سيبويه 557/3-566. والأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1417ه/1996م. 424/2-429، والمفصل، الزمخشري ص209-213، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، 1413ه/1992م. 306/5-312.

يَمْشِيْ بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ تَحْتَ الْعُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءٍ يُلْجَمُ[137]

فَالعددُ (أربعة) مِن الأعدادِ المُفردةِ الّتي تُخالِف معدودَها، فَمَعَ المعدودِ المُذكَّر تكونُ بالتَّاء، ومَع المُؤنّث تكونُ بِدونِها، والأصْلُ في البيتِ أنْ يقولَ: (بِأَرْبَعٍ)، ولكنّه حَمَلَ اليَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ على معنَى الأعْضاءِ فَذَكّر العدد[138]. أيْ جاءَ العددُ بالتَّاء، وهي الصِّيغَةُ الّتي يُعبَّرُ بِها في الأعداد المُفردةِ عن المُذكَّر.

3. مَا حُمِلَ مِنَ الْمُذَكَّرِ عَلَى الْمُؤَنَّثِ:

وهٰذِهِ المجموعةُ من الأسماءِ مُذكّرة، ولكنّها خَالَفَتْ في الاسْتِعمالِ جِنسَها، فعُومِلَتْ مُعامَلة المُؤَنَّث، وهٰذا البابُ أقلُّ من سابِقه؛ لِأنّه رَدُّ أصْلٍ على فرعٍ، ومنهم مَن عدّه ضرورةً، ومنهم مَن استحسَنه، ومنهم مَن جَعَله أَذْهَبَ في التَّنَاكُر والإغْراب، والنَّتيجةُ أنّ التّذكيرَ على المعنى واردٌ في لِسانِ العرب[139]، وقد كان عند المتنبّي وفْق الآتي:

1.3 تَأْنِيثُ الاسْمِ: إذ يُحمَل المُذكّرُ على معنى المؤنّث فَيَحتكِم بأحكامه، ومِن ذلك:

- **[بحر] البَحْرُ:** مذكّرٌ ولكنّهُم صَغَّرُوهُ على (بُحَيْرَة)، كما في قولِه: [من المنسرح]

لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ البُحَيْرَةَ وَالْـ ـغَوْرُ دَفِيْءٌ وَمَاؤُهُ شَبِمُ[140]

والقِياسُ أنْ يقُولُوا (بُحَيْرٌ)، ويَحتمِلُ أنّهم أرادُوا بِالبحْرِ الحُمّةَ وكثرةَ الماءِ؛ فكانَ التَّأنيثُ[141].

- **[بوق] البُوْقَاتُ:** وهِي جَمْعُ بُوْقٍ، كما في قولِه: [من الطويل]

إِذَاْ كَأَنَ بَعْضُ النَّأْسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ فَفِي النَّأْسِ بُوْقَاْتٌ لَهَاْ وَطُبُوْلُ[142]

فالبُوقاتُ جَمْعٌ لِما لا يَعقِلُ مِن المُذكَّر، جاءَ بالألِف والتَّاءِ مؤنّثًا، وذلك لِأنّه لَمَّا صارَ جَمْعًا فهُو جَمَاعَةٌ، فَدخلَه التّأنيثُ على مَعْناها[143]. وفي الذهاب به للتأنيث زيادةُ إشارة إلى ضعْفِ أولئك المُدّعين، فهم يقفون عند الكلام ويبتعدون عن الأفعال، فما هُم بالرجال وإنّما كان التأنيثُ بهم أَلْصَقَ.

2.3 تَأْنِيْثُ الْفِعْلِ: فَالفاعلُ المُذكّرُ أُنّثَ فعلُه على معنًى يَحتمِلُه سِياقُه، وكان ذلك وفْق الآتي:

- **[أيل] الْأُيَّلُ:** كما في قولِه: [من السريع]

فَقِيْدَتِ الْأَيَّلُ في الحِبَالِ طَوْعَ وُهُوقِ الخَيْلِ والرِّجَالِ[144]

فـ(الأيّل) اسم للجنس، أنّثه على معنَى الجماعة[145]. وفي هذا دليلٌ على كثرتها، وتَمام طاعتها.

- **[تمم] الْأَتَمُّ:** كما في قولِه: [من الطويل]

([137]) أثبته ابن جنّي في الْفَسْر 572/3. ومحقق الديوان لم يثبته في المتن، وأشار إليه في حاشية البيت الذي يسبقه بقوله: يورد الشّاعر بيتا بعد هذا فيه إسفاف ولم أذكره لإسفافه. يُنظر: ديوان المتنبي 446/2 الحاشية 4.

([138]) يُنظر: الْفَسْر 572/3.

([139]) يُنظر: الكتاب، سيبويه 51/1، 402، والأصول في النحو، ابن السراج 476/3-480، وشرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429ه/2008م. 251/1، والخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، د.ط، 1957م. 417/2.

([140]) ديوان المتنبي 287/2. الشّبِم: البارد.

([141]) يُنظر: الْفَسْر 495/3-496. وشرح مشكل شعر المتنبي ص82.

([142]) ديوان المتنبي 180/2.

([143]) يُنظر: الْفَسْر 827/2-830.

([144]) ديوان المتنبي 252/2. والوهوق: الحبال تؤخذ فيها الدواب، واحدها: وهق.

([145]) يُنظر: شرح مشكل شعر المتنبي ص342.

نُفَدِّيْ أَتَمَّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاْحَهُ نُسُوْرُ المَلَا أَحْدَاْثُهَا وَالْقَشَاْعِمُ[146]

فـ(الأتمّ) مذكّر، أنّثه على معنَى النّسور، أي: (تفدّي النسورُ سلاحَه)، والنّسورُ جماعةٌ، وهٰذا كما فَعَلَ الأعرابيُّ بقولِه: (أَتَتْهُ كِتَابِيْ فَاحْتَقَرَهَا)، حَمْلًا على معنَى الصّحيفةِ، وكقولِهم: (مُذْ دَجَتِ الإِسْلَاْمُ)، على معنَى المِلّةِ الحنيفيّة[147].

- **[عمل] الْعَوَاْمِلُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

وَكُلُّ أَنَابِيْبِ الْقَنَاْ مَدَدٌ لَهُ وَمَاْ تَنْكُتُ الفُرْسَاْنَ إِلّا الْعَوَاْمِلُ[148]

فالوجْهُ أنْ يقولَ: (ينكُتُ) بِالياء، ولكنّه لَمّا أرادَ الأنابيبَ أَنَّث[149]. ولا يَخفى أنّ هٰذا من مواضعِ وُجوبِ تذكيرِ الفعلِ؛ لِأنّ المعنَى: وما ينكُتُ الفرسانَ أحدٌ إلّا العَواملُ.

- **[عين] الْعَيْنَ:** وَليسَ المقصودُ بِها العُضْوَ المَعروفَ، وإنّما هِي الرَّقِيبُ، كما في قولِه: [من المنسرح]

أَأَخْفَتِ الْعَيْنُ عِنْدَهُ خَبَرًا أَمْ بَلَغَ الْكَيْدُبَاْنُ مَاْ أَمَلَهْ؟[150]

فَالعَينُ هُنا الرَّقيبُ، والأصْلُ أنْ يقولَ: (أَأَخْفَى)، ولكنّه أَنّث الفعلَ على تشبيهِ الرَّقيبِ بِالعَيْنِ الّتي هي العُضْوُ[151].

- **[كلل] كلّ:** كما في قولِه: [من البسيط]

أَكَارِمٌ حَسَدَ الأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ[152]

فتأنيث (قصّرت) مع أنّ الفاعل (كلّ) مذكّر لفظًا؛ لأنه قصد جماعة الأمصار[153]. وللمضاف إليه تأثيرٌ على المضاف في الجِنس.

3.3 تَأْنِيثُ الخَبَرِ:

إذْ كانَ المبتدأُ ضميرَ المُخاطَبِ المُفرَدِ المُذكَّر، ولكنّ خبَرَهُ جاءَ بالتَّأنيثِ، وذلك في قولِه: [من الكامل]

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِيْ زَمَاْنٍ أَهْلُهُ وُلِدَتْ مَكَارِمُهُم لِغَيْرِ تَمَاْمِ[154]

فأنَّث (الغريبة) على معنَى الحَالِ، أو الخَصْلةِ، أو السِّلْعةِ، كقولِهم: إنّك لَأُعْجُوبةٌ، وَدَاهِيَةٌ، وَمُعْضِلَةٌ[155]. وفي هذه المغايَرة لَفتُ انتباهٍ وإثارةُ استغرابٍ عمَد إليهما أبو الطيّب كعادتِه تشويقا لما سيقوله مفسِّرًا ومفصِّلًا لما أجْملَهُ.

4.3 تَأْنِيْثُ الصِّفَةِ: فتأتي صفةُ المُذكّر مُؤنّثةً، وفْق الآتي:

- **[حدث] الحَدَثُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

هَلِ الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وتَعلَمُ أيُّ السّاقِيَيْنِ الغَمائِمُ[156]

([146]) ديوان المتنبي 373/2. والقشاعم: جمع (قشعم)، وهي المعمّرة من النسور. ورواية الديوان: يفدّي.

([147]) يُنظر: الْفَسْر 393/3-394. وشرح مشكل شعر المتنبي ص240.

([148]) ديوان المتنبي 191/2. العوامل: الأسنّة. ورواية الديوان: ينكت.

([149]) يُنظر: الخصائص 416/2. والْفَسْر 847/2.

([150]) ديوان المتنبي 99/2.

([151]) يُنظر: الْفَسْر 222/3.

([152]) ديوان المتنبي 403/1.

([153]) يُنظر: معجز أحمد 95/1.

([154]) ديوان المتنبي 207/2.

([155]) يُنظر: الْفَسْر 421/3.

([156]) ديوان المتنبي 374/2.

فالحَدَث حِصنٌ معروف، والتأنيث على قصد القلعة أو المدينة[157]. وقد أراد بالتأنيث ألّا تقتصرَ معرفةُ بطولةِ الأميرِ وشجاعتِه على الحِصْن فحسْبُ، وإنّما لِتشمَلَ كلَّ الأراضي والدِّيار في تلك المناطق؛ فعِظَمُ الفِعل أكبرُ من حِصنٍ مُحدَّدٍ.

- **[دفن] المدفون:** كما في قولِه: [من الوافر]

على المدْفونِ قبلَ التُرْبِ صوْنًا وقبلَ اللّحْدِ في كرَمِ الخِلالِ[158]

والأصل: على والدة سيف الدولة المدفونة، ولكنّه أنّثَ حَمْلًا على معنى الشّخص[159]. وفي تذكير ضميرها تشريفٌ وصَوْنٌ أراد به الشّاعر التنبيه على شِدّةِ غيرةِ الممدوحِ على عِرضه ولو كان بالضمير.

- **[قوم] القَوْمُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

فَإلّا تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَىٰ أوْ عَرِيْنَهُ فَإنَّ الّتِيْ فِيهَا مِنَ الأسْدِ أسْدُهُ[160]

أيْ: فإنّ القومَ أو الشَّعب الّذي فيها، ولكنّه أنّث الاسم الموصول (الّتي) حَمْلًا على معنَى الفئةِ والجماعة، وأيْضًا لِأنّه لَمّا جَعَلَهم أُسْدًا -والأُسْدُ مؤنّثةٌ- أنَّث[161].

- **[ملك] المُلْكُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

وَأرْدِيَةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاْعَةٌ وَمَرْكُوْزَةٌ سُمْرٌ وَمُقْرَبَةٌ جُرْدُ[162]

فالمُلْكُ مُذكَّرٌ، ولكنّه أنّثَ الصِّفة (مطاعة) حَمْلًا على معنى السُّلطان[163]. ولا يَخفى ما أراده من مبالغةٍ أضْفَتْها التاء على الصفة.

5.3 تَأْنِيْثُ الضَّمِيْرِ:

فقد يعودُ الضّميرُ بالتّأنيثِ عَلَى صَاحِبِه المُذَكّر؛ لِمعنًى محمولٍ عليه الأوّلُ، ومن ذلك:

- **[ألف] الألْفُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

مَضَى وَبَنُوْهُ وَانْفَرَدْتَ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَاْ مَاْ جُمِّعَتْ وَاْحِدٌ فَرْدُ[164]

فالأصْلُ أنْ يقولَ: (جُمِّعَ) بالتذكير؛ لِأنّ الألْفَ مُذَكَّرٌ، ولكنّه أَنَّث حَمْلًا على معنَى الجماعة[165].

- **[سرب] السِّرْبُ:** كما في قولِه: [من الكامل]

سِرْبٌ محاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِها[166]

فقد بعُدت موصوفات السرب لأنّهن مقصورات ممنوعات؛ والسرب مذكّر، ولكنّه أَنَّث الضمير في (موصوفاتها) حَمْلًا على معنَى الجماعة[167].

([157]) يُنظر: شرح مشكل شعر المتنبي ص241.

([158]) ديوان المتنبي 107/2.

([159]) يُنظر: العَرف الطيّب 20/2.

([160]) ديوان المتنبي 274/1. الشرى: موضع تُنسب إليه الأُسْد. ورواية الديوان: فإنّ الذي. ولا حمل فيها.

([161]) يُنظر: الْفَسْر 1067/1.

([162]) ديوان المتنبي 232/1. الأردية: الأثواب، ومركوزة سمر: رماح تُركز في الأرض، ومقربة جرد: الخيل قصيرة الشعر.

([163]) يُنظر: الْفَسْر 1009/1-1010.

([164]) ديوان المتنبي 231/1.

([165]) يُنظر: المذكر والمؤنّث، الفراء ص75، وإصلاح المنطق، يعقوب بن السكّيت، تح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، د.ط، 1368ه/1949م. 299/2، والمُذَكَّر والمُؤَنَّث، السجستاني ص140-141. والْفَسْر 1008/1.

([166]) ديوان المتنبي 159/1.

([167]) يُنظر: شرح مشكل شعر المتنبي ص118.

- **[عصف] العَصْفُ:** كما في قولِه: [من الطويل]

ولا تُنكرا عَصْفَ الرّياحِ فإنّها قِرى كُلِّ ضَيْفٍ باتَ عِنْدَ سِوارِ[168]

فالضّمير في (إنّها) يجوز أن يعود على العصف، وأنّثه اكتسابا من المضاف إليه (الرياح).

- **[فرق] الفَرْقُ:** كما في قولِه: [من المنسرح]

شَابَ من الهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أسْوَدُهَا[169]

الضمير في أسودها يجوز أن يعود إلى اللمة، فذكر أوّلا فرقها وهو جزء منها ثمّ عمّم، ويجوز أن يعود على الفرق بالتأنيث مع أنّه مذكر؛ على اكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه لأنّه جزء حقيقيّ من ذاته، وهٰذا مِثْلُ قولِهم: ذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ، وقولِ الشاعر: [من الطويل]

وَتَشْرَقُ بِالْقَوْلِ الَّذِيْ قَدْ أَذَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[170]

فكان التّأنيثُ فِيها لِأنّ بعْضَ الأَصابِعِ إِصْبعٌ، وَصَدْرَ القناةِ جُزْءٌ منها[171].

- **[كلل] كلّ:** مِن الألْفاظِ المُبهَمة، ولفظُها مُفردٌ مُذكّرٌ، ومعناها جمع، وقد يُحمل الكلام على معناها كما في قوله: [من الوافر]

وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ فَقُربُ أَقَلّها مِنْهُ عَجِيبُ[172]

فالضمير جاء بالتأنيث على معنى (الأدواء)[173]. ومِمّا جاء مراعاة للفظها قوله: [من الطويل]

رَعَى اللَّهُ عِيْسًا فَارَقَتْنَا وَفَوْقَها مَهًا كُلّها يُوْلَى بِجَفْنَيْهِ خَدُّهُ[174]

- **مَا:** وهٰذِهِ مِن الأَلْفاظِ المُبهَمة، ولفظُها مُفردٌ مُذكّرٌ، ولكنّها قد تُحمَل على معنًى تؤدّيه في السّياق فتُؤنّث، كما في قولِه: [من الطويل]

وَأَسْقَى بِلادِ اللهِ مَا الرُّوْمُ أَهْلَهَا بِهٰذَا وَمَا فِيْهَا لِمَجْدِكَ جَاْحِدُ[175]

فالأصْلُ أنْ يقولَ: (أهلُهُ)، بالتّذكيرِ على لفظِ (مَا)، ولكنّه أَنّث حَمْلًا على المعنى؛ إذ قَصَدَ بـ(ما) النَّاحِيةَ أو الجِهةَ أو البِلادَ، وهٰذا كثيرٌ في شِعره لِما فيه من الإيضاح والمُبالَغة[176].

- **[مثل] الْمِثْلُ:** كما في قولِه: [من الكامل]

حَاْشَىٰ لِمِثْلِكِ أَنْ تَكُونَ بَخِيلَةً وَلِمِثْلِ وَجْهِكِ أَنْ يَكُوْنَ عَبُوْسَا[177]

فالأصْلُ أنْ يقولَ: (يَكونَ)، بالتّذكيرِ على لفْظ (مِثل)، ولكنّه أَنّث حَمْلًا على المعنى؛ إذْ قَصَد بـ(مِثل) امْرأةً، ولَمّا أنْ كانَتْ مؤنّثةً كانَ مِثْلُها مؤنّثًا[178]. ومِن حمْل المتنبي على معنى ما أُضيف إليه (المثل) قوله: [من الكامل]

([168]) ديوان المتنبي 324/1.

([169]) ديوان المتنبي 184/1.

([170]) البيت للأعشى وهو في ديوانه. ديوان الأعشى الكبير 318/1.

([171]) يُنظر: الكتاب، سيبويه 50/1-54، 247/3-248. والْفَسْر 252/2. وشرح مشكل شعر المتنبي ص25-26.

([172]) ديوان المتنبي 98/1.

([173]). يُنظر: العَرف الطيّب 170/2.

([174]) ديوان المتنبي 270/1.

([175]) المصدر نفسه 257/1.

([176]) يُنظر: الْفَسْر 800/1.

([177]) ديوان المتنبي 406/1.

([178]) يُنظر: الكتاب، سيبويه 50/1-54، 247/3-248. والْفَسْر 252/2. والعَرف الطيّب 168/1

يَحمِلْنَ مِثْلَ الرَّوضِ إلّاَ أنَّها أسبَى مَهَاةً لِلقُلوبِ وَجُؤذَرا[179]

فمِثْلُ الروض روضٌ[180].

- **مَنْ:** وهٰذه أيضًا من الألفاظِ المُبهَمة، ولَفظُها مُفردٌ مُذكّرٌ، ولكنّها قد تُحمل على معنى تؤدّيه في السّياق فتؤنّث، كما في قولِه: [من الطويل]

وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ تَدَعْ لَنَا فُؤَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُوْمِ وَلَا لُبَّا؟[181]

فالأصْلُ أنْ يقولَ (يَدع) بالتَّذكيرِ على لفْظ (مَن)، ولكنّه أنّث حَمْلًا على المعنى؛ إذْ قَصَدَ بـ(مَن) امرأةً، وهٰذا مِثْلُ قولِه تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ ﴾ [الأحزاب: 31]، على قراءَةِ (تَقْنُتْ) بالتّأنيث[182]، وهٰذا شائعٌ في القُرآن والشِّعر[183]. ومِن هٰذا أيضًا عند المُتنبّي قولُه: [من الطويل]

فَلَمْ يَبْقَ إلّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظّبَا لَمَىٰ شَفَتَيْهَا والثُّدِيُّ النَّوَاهِدُ[184]

فقال: (حماها)؛ لأنّه قَصَد امرأة[185]. وكذلك قوله: [من البسيط]

مَتَىٰ تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَىٰ زِيَارَتَهَا لَا يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبِيْضِ وَالأَسَلِ[186]

والأصْلُ: (زيارَتَهُ)[187].

- **[نجد] نَجْدٌ:** كما في قولِه: [من البسيط]

اِبْنُ المُعَفَّرِ فِيْ نَجْدٍ فَوَارِسَهَا بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ[188]

فَنَجْدٌ مُذكّرٌ، والتّأنيثُ على قصْد الْجِهة، ويجوزُ أنْ يكونَ على معنَى: (فوارسِ العَرَب)[189].

6.3 تأنيث الحال: كما في قولِه: [من الكامل]

وَهَبِ المَلَامَةَ في اللّذَاذة كالكَرَى مَطْرُودَةً بِسُهادِهِ وَبُكَائِهِ[190]

فالمعنى: اجعل الملامة مطرودةً بسهادي وبكائي رحمة لي كما طُرِد الكَرى، وقيل: (مطرودة) حال من الكرى وهو مذكر، ولعلّه على معنى التشبيه بينهما؛ فالملامة مطرودة ولْيُجعل الكرى مثلها، وقيل: سبق وَهْمُ المُتنبّي إلى أنّ (الكَرى) يُذكَّر ويؤنَّث مثل (الهدى) فأخطأ[191].

7.3 تأنيث العدد: كما في قولِه: [من المتقارب]

([179]) ديوان المتنبي 386/1.

([180]) يُنظر: شرح ديوان المتنبي، الواحدي 328/1. والعَرف الطيّب 422/2.

([181]) ديوان المتنبي 88/1. ورواية الديوان: لم يدع.

([182]) يُنظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تح: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق – بيروت، ط1، 1413ه/1992م. 474/5.

([183]) يُنظر: الْفَسْر 210/1-211.

([184]) ديوان المتنبي 259/1.

([185]) يُنظر: الْفَسْر 809/1.

([186]) ديوان المتنبي 154/2. البيض: السيوف، والأسل: الرماح.

([187]) يُنظر: الْفَسْر 772/2.

([188]) ديوان المتنبي 403/2. وكوفان: الكوفة.

([189]) يُنظر: الْفَسْر 439/3.

([190]) ديوان المتنبي 26/1.

([191]) يُنظر: الْفَسْر 49/1. وشرح ديوان المتنبي، الواحدي 1400/3-1401. وشرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي 131/1-132.

شَنَفَنَّ لِخَمْسٍ إلى مَنْطَلَبْـــــــ ـــنَ قَبْلَ الشَّفُونِ إلى النّازِلِ[192]

أيْ: بعد خمسٍ بين يوم وليلة، ويغلّبون في مثل هذا المؤنّث على المذكر؛ لأنّ الليلة أسبق من اليوم في التاريخ[193].
وهكذا تكتمل عدّة الألفاظ الّتي حمَلها المتنبّي على معناها، فجاءَتْ مخالِفةً جنسَها، وقد حدّدها الشُّرّاح، وبيّنُوا الوجه الّذي حُملت عليه، معَ بيان سببِ الحَمْل في أغلبِها، وإيراد الأمثلة عليها من القرآن الكريم ومن كلامِ العربِ وأشعارِهم، فكان عملُهم أشبَهَ بمعجمٍ لُغَويّ، احتجّوا من خلالِه لِلمتنبّي وأساليبِه، وأثبَتُوا في الغالب أنّ ما جاء به من تعابيرَ إنّما هي فاشيةٌ في كلامِ العربِ ولها نظائرُ.

الخَاتِمَةُ والنَّتَائِجُ:

إنّ الحمل على المعنى يحتاج إلى دِقَّةِ فهْمٍ، وعُمْقِ تجربةٍ، ودُربةٍ لُغويّةٍ، وغزارةِ حفْظٍ، وتمرُّسٍ في فِقْهِ العَربيّةِ وأسرارِها، ولا يُتاح هٰذا السّبيل لكلّ مُتكلِّم، ولا يَفتحُ بابَه أيُّ مُتعلِّم، فهو ذلك البابُ الواسِعُ الّذي لا ينغلق، والنَّبْع الثَّرُّ الّذي لا ينضُب، والبحر الّذيْ لا يُسْبَرُ غَوْرُه، والعَلَم الذي لا يُدرَكُ أعلاه، وَلئِنْ كان المتنبّي _كما وَصَفَهُ ابنُ جنّي في مقدّمة فَسْره_ قد سَمَتْ مَطالِعُه، وخَفِيَتْ مَقاطِعُه، وقَوِيَتْ مَادّتُه، وَشَذَّتْ نَادَتُه، فَلَقَدْ تَكفّل به صاحِبُ الْفَسْر، فَكَشَفَ عن خَباياه، وأزاح السِّتْرَ عن مَقصَدِه مِن الكلام ومَرمَاه، فَأَخرج المعانيَ المُرادَةَ، ووضّح ما حُمِل منها على أخيه، وأثبت كلّ ذلك من كلام العرب مشفوعًا بدليلِه، وعلى ذلك سار مَن بعده احتجاجا للمتنبّي أو عليه، ومِن أبرز مَا وَصَلَ إليه هذا البحْثُ:

1. الحمْلُ على المعنى فَهِمَهُ المُتكَلِّمُ العربيُّ واستَعْمَلَه قبْل النحويّ، وهو بابُ بلاغةٍ وبيانٍ، وقد ورد في القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبويّة الشريفة، وفي شِعْر المتقدِّمين، وكلامِ من يُحتجّ بهم من العربِ الأقْحَاح. وهو وسيلةٌ للتّوفيق بيْن النُّصُوص الّتي تأتي مخالِفةً للقواعد في ظاهِرِها، وبعْد التّثبُّت من معانيها تتَّضحُ موافقتُها، ويُفهم القصْدُ منها.
2. الحَمْلُ على المعنى بيْنَ المُذكَّر والمُؤنّث كثيرٌ في كلامِ العربِ، فَاشٍ في أساليبِها، له نظائرُ وأمثلَةٌ لا يحدُّها حَدٌّ. وحَمْلُ المُؤنّث على المُذكَّر كثيرٌ مُنتشرٌ مُستساغٌ؛ لِأنّه رَدٌّ للفَرْعِ عَلى الأصْل، في حين كان حمْلُ المؤنّث على المذكّر أقلَّ انتشارًا؛ لِأنّه ذهابٌ بالأصُول إلى الفروع.
3. كثيرٌ مِن الألفاظ العربيّة جاءَتْ على لُغتَي التّذكير والتّأنيث، فجاز فيها الوجهانِ بِدُونِ حَملِها على معانِي غيرها.
4. اعتمادُ المتنبّي هٰذا الأسلوبَ، وتتبُّعُه سمْتَ الكلام العربيّ، وطُولُ باعِه في التَّمرّس عليه، وإتقانُه لهٰذا الفنّ دليلٌ على سَعَةِ اطِّلاعه على ظواهر اللغة وعِلل توجيه الكلام.
5. الحمل على المعنى في الجنس عند المتنبّي كان على سبع صور هي: الاسم، والفعل، والخبر، والصّفة، والضّمير، والحال، والعدد.
6. أسبقيَّةُ ابن جنّي في تفصيلِ مظاهِرِ الحمل على المعنى، وتحديدِ صوره، وبيانِ أمثلته، وقياسِ شواهِدِه على المنقول والمحفوظ من الكلام المحتجّ به.
7. تعليقُ ابنِ جِنّي على مجموعة من الأبيات الّتي كان فيها الحمل على المعنى تذكيرًا وتأنيثًا، ولم تُثَبَّتْ من قبل محقق الديوان، بلغ عددها أربعة أبيات، وقد أثْبَتَها هذا البحْثُ مع تعليقات ابن جنّي عليها؛ إذ إنّ ابن جنّي قرأ على المتنبّي شِعْرَه واستوضح منه مُشكلَه.
8. فهمُ المعنى كان مقدّما على شكليّة الألفاظ، إذْ متى ما وضُح المعنى وجاز الحمل عليه، لم يُعبأ بشكل اللفظ لا في جنسه ولا عدده، بل حتّى إنّهم حملُوه على نقيضه.
9. الحاجة الماسّة لِمن أراد التَّصدّي لتحليل الكلام وإطلاق الأحكام إلى التسلّح بشيءٍ عظيمٍ من المادّة المعجميَّة، والمعاني المتداوَلة، والأساليب التي يخرُج فيها المعنى على اللفظ ويبتعد به عن بيئته وجنسه المُعتاد.

References:

- The Holy Quran
- Al Arf Altaeb fi sharh Diwan Abi Al-Tayyib's, Nassif Al-Yazji, Dar Sader, Beirut, second edition, 2005 AD.

([192]) ديوان المتنبي 118/2. الشفن: النظر من فوق إلى أسفل. والرواية في الديوان: قُبَيل.

([193]) يُنظر: شرح مشكل شعر المتنبي ص181.

- Al Eqd Al Fareed, Ibn Abd Rabbo Abu Omar Shihab al-Din Ahmed bin Muhammad, investigation: d. Mufeed Muhammad Qamiha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, Lebanon, first edition, 1404 AH / 1983 AD.
- Al hojjah li Al Qurrae Al sabae, Abu Ali al-Hasan ibn Abd al-Ghaffar al-Farsi, investigation: Badr al-Din Qahwaji and Bashir Jouejati, Dar al-Ma'moun for Heritage, Damascus - Beirut, first edition, 1413 AH / 1992 AD.
- Al Khasaes, Abu al-Fath Othman bin Jinni, investigation: Muhammad Ali al-Najjar, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, without edition, 1957 AD. 2/417.
- Al Kitab, Sibawayh Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar, investigation: Abd al-Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, third edition, 1408 AH-1988 AD.
- Al Muhkam Wa Al Muheet Al Aatham, Ibn Sayeda Abu al-Hasan Ali Ibn Ismail, investigation: Abd al-Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1421 AH / 2000 AD.
- Al muthakkar Walmuannath, Abu Bakr Muhammad ibn al-Qasim al-Anbari, investigation: Muhammad Abd al-Khaliq Azimah, Supreme Council for Islamic Affairs, Committee for the Revival of Heritage, Cairo, without edition, 1401 AH / 1981 AD.
- Al muthakkar Walmuannath, Abu Hatim Sahl bin Muhammad al-Sijistani, investigation: d. Hatem Saleh Al-Damen, Dar Al-Fikr, Damascus, first edition, 1418 AH / 1997 AD.
- Al muthakkar Walmuannath, Abu Zakariya Yahya bin Ziyad Al-Farra, investigation: Dr. Ramadan Abdel Tawab, Dar Al Turath, Cairo, second edition, 1989 AD.
- Al muthakkar Walmuannath, Ibn al-Tusturri al-Kateb, investigation: d. Ahmed Abd al-Majid Haridi, Al-Khanji Library, Cairo, first edition, 1403 AH / 1983 AD.
- Al Osoul fi Al Nahw, Abu Bakr Muhammad bin Sahl bin Al-Sarraj Al-Baghdadi, investigation: d. Abdul Hussein Al-Fatli, Al-Risala Foundation, Beirut, Lebanon, third edition, 1417 AH / 1996 AD.
- Al-Ain, Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi, investigation: Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal Library and House, without edition, without date.
- Al-Burhan fi Olom Al Qur'an, Badr al-Din Muhammad bin Abdullah al-Zarkashi, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Turath, Cairo, third edition, 1404 AH-1984 AD.
- Al-Fasr, Abu al-Fath Othman bin Jinni, investigation: d. Reda Rajab, Dar Al-Yanabee', Damascus, first edition, 2004 AD .
- Al-Lama' Al-Azizi, Explanation of Al-Mutanabi's Diwan, Abu Al-Alaa Ahmed bin Abdullah Al-Ma'ari, investigation: Muhammad Saeed Al-Mawlawi, King Faisal Center for Research and Islamic Studies, first edition, 1429 AH / 2008 AD.
- Al-Mufaddaliyat, Al-Mufaddal Muhammad bin Ya`la bin Salem Al-Dhabi, investigation: Ahmed Muhammad Shaker and Abd al-Salam Harun, Dar al-Ma'arif, Cairo, sixth edition, no date.
- Al-Mufassal fi ilm Al-Arabiya, Abu Al-Qasim Al-Zamakhshari, investigation: Dr. Fakhr Saleh Qadara, Dar Ammar, Amman, first edition, 1425 AH / 2004 AD.
- Diwan Abi zu'ib, Abu zu'ib Al-Hudhali, investigation: Ahmed Khalil Al-Shall, Center for Islamic Studies and Research, Port Said, first edition, 1435 AH / 2014 AD.
- Diwan al-Asha al-Kabir, al-Asha Maimoon bin Qais, investigation: d. Mahmoud Ibrahim Al-Radwani, Ministry of Culture, Arts and Heritage, Department of Cultural Research and Studies, Qatar National Press, first edition, 2010.

- Diwan Al-Farazdaq, Al-Farazdaq Hammam bin Ghalib, investigation: Ali Faour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, Lebanon, first edition, 1407 AH / 1987 AD.
- Diwan Al-Mutanabi, Abu Al-Tayyib Ahmed bin Al-Hussein Al-Mutanabi, investigation: d. Darwish Al-Juwaidi, The Modern Library, Sidon - Beirut, without edition, 1435 AH / 2014 AD.
- Diwan Imru' al-Qais, Imru' al-Qais ibn Hajar al-Kindi, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'arif, Cairo, fourth edition, 1984 AD.
- Diwan Jarir, Jarir bin Attia Al-Khatfi, Dr. T., Dar Beirut, Beirut, without edition, 1406 AH / 1986 AD.
- Diwan Kather Azza, Kather Azza, collected by: Dr. Ihsan Abbas, House of Culture, Beirut, Lebanon, without edition, 1391 AH / 1971 AD.
- Diwan thelisbaa Al-Adwani, Thol-Isbaa Harthan bin Muharth Al-Adwani, investigation: Abdul Wahhab Al-Adwani and Muhammad Al-Dulaimi, Al-Jumhur Press, Mosul, 1393 AH / 1973 AD.
- Diwan Tufail Al-Ghanawi, explainingby Al-Asma'i, Abdul-Malik bin Qareeb Al-Asma'i, investigation: Hassan Falah Oglu, Dar Sader, Beirut, first edition, 1997 AD.
- Hema al-Hawame' in explaining the collection of mosques, Jalal al-Din al-Suyuti, investigation: d. Abdel-Al Salem Makram, Al-Resala Foundation, Beirut, without edition, 1413 AH / 1992 AD.
- Interpretation on Meaning in Arabic, Ali Abdullah Hussein Al-Anbaki, Center for Islamic Research and Studies, Diwan of the Sunni Endowment, Iraq, Baghdad, first edition, 1433 AH / 2012 AD.
- Islah Al Mantiq, Yaqoub bin Al-Sakit, investigation: Ahmed Shaker and Abdel-Salam Haroun, Dar Al-Maarif, Egypt, without edition, 1368 AH / 1949 AD.
- Maani Al Qur'an, Abu Zakariya Yahya bin Ziyad Al-Farra', without verification, World of Books, Beirut, third edition, 1403 AH / 1983 AD.
- Mu'jiz Ahmad explained the Diwan of Abi al-Tayyib al-Mutanabi, Abu al-Ala' al-Ma'ari, investigation: d. Abdel Majeed Diab, Dar Al-Maarif, Cairo, second edition, 1413 AH / 1992 AD.
- Shaer Ziyad Al-Ajam, Ziyad Al-Ajam, investigation: d. Youssef Hussein Bakkar, Dar Al Masirah, first edition, 1403 AH / 1983 AD.
- Shaer Zuhair bin Abi Salma, Al-Alam Al-Shantmari, investigation: d. Fakhr al-Din Qabawa, Dar Al-Afaq Al-Jadida, Beirut, without edition, 1390 AH / 1970 AD.
- Sharh Diwan Al-Mutanabi, Abd al-Rahman al-Barqouqi, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, second edition, 1407 AH / 1986 CE.
- Sharh Diwan Al-Mutanabi, Abu Al-Baqa Abdullah bin Al-Hussein bin Abdullah Al-Akbari Al-Baghdadi Moheb Al-Din, investigation: Mustafa Al-Sakka, Ibrahim Al-Abyari, and Abdel Hafeez Shalabi, Dar Al-Maarifa, Beirut, without edition, without date.
- Sharh Kitab Sebawaeh, Abu Saeed Al-Hassan bin Abdullah bin Al-Marzban Al-Sirafi, investigation: Ahmed Hassan Mahdali and Ali Sayed Ali, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1429 AH / 2008 AD.
- Sharh Mushkil shaer Al-Mutanabi's, Abu Al-Hasan Ali bin Seda Al-Andalusi, investigation: d. Muhammad Radwan Al-Daya, Dar Al-Ma'moun for Heritage, Muhammad Hashim Al-Ketbi Press, without edition, 1395 AH / 1975 AD.
- Sharh Qatr Al Nada wa ballo Al sada, Abu Muhammad Abdullah Jamal al-Din bin Hisham al-Ansari, investigation: Muhammad Mohi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Khair, Damascus-Beirut, vol.1, 1410 AH / 1990 AD.